نظرية الحتمية القيمية في الإعلام كاتجاه نظري جديد ..

دراسة نظرية تحليلية في خلفيتها الابستمولوجية وتطبيقاتها

ناريمان حداد
أستاذة مستخلفة – بجامعة محمد خيضر بسكرة –الجزائر

نايلي نورة
أستاذ مساعد – ب – بجامعة ورقلة –الجزائر

غالية غضبان
أستاذة مستخلفة – بجامعة باتنة ١ – الجزائر

مقدمة :

يستند تخصص علوم الإعلام والاتصال كغيره من التخصصات والعلوم الأخرى إلى تراث نظري ورصيد معرفي وفكري، يشكل الخلفية النظرية والإطار المرجعي الذي تسير وفقه الأبحاث والدراسات في هذا المجال، فلا يمكن لأي باحث أن يقوم بأي بحث في ميدان علوم الإعلام والاتصال دون أن يربطه بالخلفية النظرية التي تحدد مفاهيمه وإطاره المنهجي، و التي تبرز معالمها في نظريات الإعلام والاتصال، والتي تعد أهم ما يشكل التراث النظري لهذا العلم .

ولقد كانت البدايات الأولى لبحوث الإعلام والاتصال تستند للتنظير من علوم أخرى كالعلوم الاجتماعية، وعلم النفس، والسياسة.... ومع التطورات الحاصلة وزيادة الاهتمام بالبحث الامبريقي والدراسات في مجال الإعلام والاتصال، على يد العديد من الباحثين والدارسين أمثال "**لازويل**" و"**لازرسفيلد**"... وغيرهم ممن ارسوا دعائم الدراسات في هذا العلم، والتي أسفرت عن ظهور نظريات جزئية لدراسة الظواهر والمشكلات الإعلامية والاتصالية... إلا أن التنظير في مجال علوم الإعلام والاتصال كان حكرا على العالم الغربي دائما واستنادا لكتاباتهم ومفاهيمهم، التي كان غالبا ما يقوم العرب بالاعتماد عليها في معالجة مشكلاتهم البحثية وإسقاط النظريات الغربية على المجتمعات العربية لفهم وتفسير الظواهر و القيام بالبحوث العلمية، وفي خضم هذا الواقع الفكري والأكاديمي جاء المفكر الجزائري "**عبد الرحمان عزي**" * ليعطي دفعة خاصة ويبعث من جديد حركة الفكر العربي في مجال الإعلام والاتصال من خلال مجموعة من الدراسات العلمية والأبحاث الأكاديمية التي أفرزت نظرية جديدة في حقل الإعلام والاتصال، عرفت "**بنظرية الحتمية القيمية في الإعلام**" .

إن هذه النظرية عرفت كفكر إعلامي جديد، جاء وليد الخلل الموجود بين التنظير الغربي، وثقافة وأصالة المجتمعات العربية الإسلامية، خاصة في ظل اسلمة المعرفة الغربية، هذه الأخيرة التي أصبحت لا تلبي متطلبات المجتمع الإسلامي معرفيا، وفكريا، وثقافيا، خاصة و أن النظريات الإعلامية المعاصرة، كما سبق وأشرنا هي نتيجة لبحوث

*- الباحث الجزائري العربي البروفيسور " عبد الرحمن عزي" تحصل على شهادة الليسانس في الصحافة من جامعة الجزائر عام (١٩٧٧) وعلى شهادة الماجستير في الصحافة عام (١٩٨٠) وعلى الدكتوراه في سوسيولوجيا الإعلام عام(١٩٨٥) من جامعة نورث تكساس بأمريكا. وقبل ذلك، عمل الأستاذ محررا (تغطية الأخبار المحلية) في جريدة "الشعب" اليومية (الجزائر) لمدة سنتين. و تتجاوز خبرته في التدريس و البحث والإشراف ٢٤ سنة إذ عمل كمدرس لمدة ٣ سنوات في جامعة نورث تكساس ، ثم كأستاذ مساعد فأستاذ مشارك فأستاذ لمدة ١١ سنة بمعهد علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر ثم كأستاذ لمدة ٣ سنوات بقسم الاتصال بالجامعة العالمية الإسلامية ماليزيا ثم كأستاذ بقسم الإعلام بجامعة الملك سعود لمدة ٤ سنوات، أستاذ بقسم الاتصال الجماهيري بجامعة الإمارات العربية المتحدة لمدة ٤ سنوات، ثم أستاذ بكلية الاتصال، جامعة الشارقة منذ ٢٠٠٦.

إمبريقية وأخرى نظرية، تستند في أغلبها إلى المرجعية الاجتماعية، وهي من هذه الزاوية تجيب عن بعض الجوانب الجزئية في الظاهرة الإعلامية لكنها لا تتضمن أبعادا فكرية أو فلسفية واضحة، وهذا النقص الواضح في نظريات علوم الإعلام والاتصال انطلقت منه نظرية "الحتمية القيمية" في الإعلام بقيادة البروفسور الجزائري **عبد الرحمن عزي** وثلة كبيرة من الباحثين في الجزائر لتضع لبنة مهمة في مجال علوم الإعلام والاتصال، ولتفتح باب المناقشة في أبحاث ومواضيع علوم الإعلام، خاصة وأنها جاءت من باحث مطلع وملم بهذا التخصص العلمي وبمعارفه ونظرياته المعاصرة.

برز البروفيسور "**عبد الرحمن عزي**" بشكل ملفت مع نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن من خلال أبحاثه وإسهاماته المعرفية في ميدان علم سوسيولوجيا الإعلام، حيث تمتاز هذه الأبحاث والمساهمات بميزتين: الثراء والتنوع داخل حقل الإعلام، وأنها تحمل الجديد، بحيث تقدم تصورا نقديا إبداعيا تنظيريا غير معهود في الدراسات الإعلامية في الوطن العربي والإسلامي ، ونظرا لما للموضوع من أهمية ارتأت الباحثتان تناول هذه الدراسة بالوصف والتحليل لتقديم والتعريف بالنظرية من خلال **الإجابة على تساؤل رئيسي مفاده:**

– ما هي الخلفية الابستمولوجية لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام وما تطبيقاتها ؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية ندرجها فيما يلي:

١. ما هي نظرية الحتمية القيمية وما خلفيتها المعرفية ؟
٢. ما هي الافتراضات والركائز التي قامت عليها نظرية الحتمية القيمية؟
٣. ما هي الأسس والمرجعيات التي اعتمد عليها المفكر عبد الرحمن عزي في نظرية الحتمية القيمية؟
٤. ما هي تطبيقات نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ؟

أهداف الدراسة:

إن تزايد الاهتمام بنظرية "الحتمية القيمية" في الجزائر والوطن العربي، وكذا تطورات النظرية والأبحاث الخاصة بها، خاصة بعد أن صرح صاحب النظرية عن أخر إصدار له يتحدث فيه عن نظرية جزئية تدخل ضمن الإطار العام للنظرية ودعوته للباحثين والدارسين للاشتغال عليها، كل هذا شكل الدافع الأساسي للباحثتين للقيام بهذه الدراسة النظرية التحليلية، رغبة منهما لرصد الأسس والركائز وكذا تطبيقات النظرية في ميدان الإعلام والاتصال انطلاقا من خلفيتها المرجعية، للتعريف أكثر بالنظرية ومحاولة إزالة الغموض عن تفاصيلها .

ويمكن تحديد أهداف هذه الدراسة في النقاط التالية :

- رصد وتسليط الضوء على الخلفية المعرفية لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام ومعرفة نشأتها وأهم افتراضاتها.
- الكشف عن أهم الأسس والمرجعيات الفكرية التي شكلت الانطلاقة الأساسية لفكر عبد الرحمان عزي الممهد للنظرية .
- الكشف عن أهم تطبيقات النظرية في ميدان علوم الإعلام والاتصال.

ولتحقيق جملة الأهداف السابقة الذكر نتناول فيما يلي وصفا وتحليلا كل ما يتعلق بالنظرية، حيث أن المتعارف عليه أن النظرية في الإعلام عموما هي ذلك الإطار العام الذي يضم مجموعة الأفكار والافتراضات وكذا المفاهيم والمتغيرات التي تساعد على فهم وتفسير المشكلات والظواهر الإعلامية والاتصالية لتحقيق مجموعة من الأهداف التي تختلف باختلاف نوع الدراسة والهدف المرجو منها،، إما الكشف عن الظاهرة أو التنبؤ بها أو تفسيرها أو وصفها ...الخ ، واستنادا لهذا الطرح فان نظرية الحتمية القيمية أيضا هي ذلك الإطار العام الذي يضم مجموعة من الأفكار والافتراضات والمفاهيم والمتغيرات التي تساعدنا في فهم الظاهرة الإعلامية والاتصالية وفق خصوصيتها الثقافية، ولقد جاءت النظرية بمجموعة من المفاهيم نطرحها في مضمون الدراسة لاحقا.

أولا: الخلفية المعرفية والتراث النظري لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام

١- ماهية نظرية الحتمية القيمية:

١.١- مفاهيم خاصة بالنظرية:

- مفهوم الحتمية:

أطُلق مسمى الحتمية (Determinism) منذ القرن التاسع عشر على كل النظريات التي تحولت إلى علوم مستقلة .وما الشعور بالحتمي إلا الشعور بالنسق أو النظام الأساسي كما يقال فثمة في الواقع حتمية رياضية وأخرى فيزيائية للكون .ويتضح أن الحتمية الرياضية المبنية على النتائج لا تنطبق على حتمية فيزيائية مبنية أساساً على الأسباب، وكذلك يمكن الحديث عن حتمية علم الكيمياء التي تبرهن ذاتها في أجسام منتقاة، ويقصد من الحتمية اعتبار متغير واحد أنه المحرك الأساس في تفسير أو فهم أي ظاهرة، والمتغير الرئيس، أو الأساس، في هذه النظرية –نظرية الحتمية القيمية– هو القيمة (Value) أما الظاهرة محل الدراسة فتخص الإعلام والاتصال

يعني ذلك أن أي عنصر أو ظاهرة إعلامية محل الدراسة يُفسر أو يُفهم بالبحث من حيث قربه أو تناقضه أو بُعده من القيمة، أما المتغيرات الأخرى مثل الفعل الاجتماعي والاقتصادي والتاريخي والسياسي فمكمِّلة أي متغيرات تابعة .وهذا المنهج يميز الحتمية القيمية عن الحتميات الأخرى مثل الحتمية التكنولوجية المنتسبة إلى "**ماك لوهان**" التي تعتبر أن الوسيلة هي الرسالة (The Medium is the Message) بينما تعتبر الحتمية القيمية، المنتسبة إلى "عزي عبد الرحمن" أن الرسالة هي القيمة (The Message is the Value)[١].

[١]- نصير بوعلي، **مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الاعلام عند عبد الرحمن عزي، مقاربة نقدية**، مجلة المستقبل العربي، ص ٨٨،٨٧

أما "**عزي عبد الرحمان**" فيرى أن الحتمية " هي عملية اعتماد متغير واحد في تفسير الظواهر من دون المتغيرات الأخرى " هذا ليس معناه إهمال المتغيرات الأخرى التي لها علاقة بالعملية الإعلامية وإنما يوجد متغير حاسم يعتمد عليه في تفسير الظواهر الإعلامية.[1]

- مفهوم القيمة:

يُقصد بالقيمة في نظرية" الحتمية القيمية" الارتقاء، أي ما يسمو في المعنى، والقيمة معنوية وقد يسعى الإنسان لتجسيدها عملياً كلّما ارتفع بفعله (سلوكياته) وعقله إلى منزلة أعلى ،وتعني القيمة في اللغة اسم النوع من الفعل قام يقوم قياماً، بمعنى وقف واستوي وفي منظور عبد الرحمن عزي فإن القيمة ما يعلو عن الشيء ويرتبط بالمعاني الكامنة في الدين، ويتجلى هذا الأمر في **قول الله تعالى:** (ذلك دين القيمة) **سورة يوسف:٤٠.**

وقوله تعالى: (فيها كتب قيمة) **-** سورة البينة:٣-

وإعلامياً، فإن دراسة الأثر أو تأثيرات وسائل الإعلام لا تتم في منظور عزي من دون مرجعية تربط محتويات وسائل الإعلام بالقيمة ،يقول عزي:.« إن التأثير يكون إيجابياً إذا كانت محتويات وسائل الإعلام وثيقة الصلة بالقيمة، وكلما كانت الوثائق أشدّ كان التأثير إيجابياً. وبالمقابل، يكون التأثير سلبياً إذا كانت محتويات وسائل الإعلام لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض مع القيمة، وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكبر» [2]

[1] **محاضرات حول نظرية الحتمية القيمية**:متاح على الموقع https://elearn.univ-*ouargla.dz*: *تاريخ الولج :* ٢٠١٨/٠١/٢٠.

[2] - نصير بوعلي، **مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الاعلام عند عبد الرحمن عزي، مقاربة نقدية**، مجلة المستقبل العربي، ص ٨٧،٨٨.

وفي تعريف آخر القيمة: هي ما يسمو بالفرد ويرفعه من معاني مدركة أو مستنبطة عن النص القرآني، السيرة النبوية، النصوص المرجعية التي أنتجتها الحضارة العربية الإسلامية، إضافة إلى تلك "النهضوية" الحديثة، فلا تكون قط من دون مرجعية وإنما تأتي في سياق تعاليم إلهية/ دينية لتصبح وثيقة الصلة بالمعتقد، ويمكن فهم علاقة الأخير بالقيمة والإنسان في إطار الخلق، حيث يحدث الارتباط بين الخالق والمخلوق والخُلق (القيمة).[١]

- في الإعلام:

يقصد بذلك رسالة الإعلام بوسائله المختلفة، القديمة (الصحف، المجلات، الإذاعة والتلفيزيون) والجديدة (الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي...الخ) يتضح أن أدبيات الاتصال الحديثة ترتكز على الوسيلة، وأن وسائل الاتصال أساس الثقافة المعاصرة، ويتردد القول بأننا في عصر الوسيلة. إلا أن مقاربة نظرية الحتمية القيمية تشدد على أولوية الثقافة على وسائل الإعلام، فالثقافة تستوعب وسائل الإعلام بينما تشمل وسائل الإعلام جزءا محددا ومحدودا من الثقافة. وفي منظور صاحب النظرية عبدالرحمن عزي فان الأولى التساؤل: ماذا تفعل الثقافة بوسائل الإعلام؟ و ليس العكس، أي ماذا تفعل وسائل الإعلام بالثقافة؟ وحسب نظرية الحتمية القيمية فان الرسالة أساس عملية الاتصال رغم أن الوسيلة تؤثر في طبيعة الرسالة شكلا ومضمونا. الرسالة تمثل المرجع في ضبط العلاقة بين الثقافة و وسائل الإعلام. فالثقافة مرجعية ثابتة في التاريخ وتتجدد بالفعل والممارسة.أما الوسيلة فقد تولدت في فضاء الثقافة وسعت إلى التعبير عن بعض مظاهر هذه الأخيرة. وإذا كانت وسائل الاتصال قد أنتجت ما يسمى الثقافة الجماهيرية فإنها لم تصبح الثقافة في حد ذاتها، كما أن الثقافة الجماهيرية وليدة المجتمع الجماهيري وليس العكس[٢].

---

[١] سعاد عيساني: **القيمة بين الواقع والخيال، مستويات التداخل وطبيعة العلاقة في الحتمية القيمية**، مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة، الجزائر، دار الوسم للنشر والتوزيع، ع٤، ٢٠١٢.

[٢] - نصير بوعلي، **مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام عند عبد الرحمن عزي، مقاربة نقدية** ، مرجع سبق ذكره، ص ٨

مفهوم الحتمية القيمية:

– ذكر د/ نصير بوعلي في كتابه "**الإعلام و القيم**" **ان المقصود بمصطلح الحتمية القيمية هو** :" الارتكاز على القيم والتي مصدرها الدين كمتغير حتمي وأساسي وثابت عند دراسة أي ظاهرة إعلامية" فعالم القيمة حتمية عند دراسة القائم بالاتصال وحتمية عند دراسة الرسالة الإعلامية وحتمية عند معرفة كيف تتجسد معالم القيمة في المتلقي وكيف تؤدي هذه القيمة إلى نوع التأثير، فالحتمية القيمية تدرس القيمة في تجاورها " ارتباطها المستمر بوسائل الإعلام" وتفاعلها " تأثيرها و تأثرها بوسائل الإعلام"[١]

– **مفهوم التمعقل:** أي استعمال العقل بحثا عن الحقيقة بغية الوصول إلى اليقين.

– **مفهوم التمخيل:** أي استعمال الخيال لإعادة تصور الواقع للوصول إلى أفضل الحالات.

– **مفهوم الخيال:** أي السعي للوصول إلى الحقيقة المطلقة المرتبطة بالمعتقد.

– **مفهوم التموضع** : أي الوضع غير السوي الذي يسعى الإنسان إلى تغييره نحو الأفضل عن طريق التمعقل.

– **مفهوم الرأسمال الرمزي:** ينتمي الإعلام إلى المجال الرمزي الذي يعبر عن الواقع باللغة والصورة والصوت (فالإعلام ليس هو الواقع وإنما يعبر عن هذا الواقع).

– **المخيال الإعلامي:** والذي يسميه الأستاذ نصير بوعلي "الوجدان الجمعي" وهو الحالة التي تتضمن المشاعر النفسية والاجتماعية التي تتكون بفعل ما يتعرض له الجمهور من محتويات وسائل الإعلام من جهة وبفعل ما يحمله من مخزون ثقافي من جهة أخرى.[٢]

---

[١]- نصير بوعلي، **الإعلام والقيم: قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي** ، دار الهدى للطباعة و النشر، دط ، الجزائر ،٢٠٠٥، ص ص ٨،٩

[٢] محاضرات حول نظرية الحتمية القيمية : https://elearn.univ-ouargla.dz

٢.١- التعريف بالنظرية:

يقول عبد الرحمن عزي عن الحتمية القيمية في مقال منشور في مدونة عن كثب للدكتور باديس لونيس: "عملت مع زملائي على أن تتأسس نظرية الحتمية القيمية في الإعلام بوصفها نظرية معرفية أكاديمية وليست ثيولوجية، أي أن أدواتها أكاديمية وعقلانية إلى حد يقترب من "العقلانية البحتة" ولكن مضمونها تراث قيمي وحضاري وإنساني متجدد. وبمعنى آخر فقد حاولت سحب عامل القيم من الحقل الدعوي إلى مجال الحقائق العلمية نظريا ومنهجيا. وفي نظرنا فإن ركود مجال القيم وعدم فعاليته بتعبير مالك بن نبي يعود إلى حد كبير إلى عدم الانشغال بالقيمة من الناحية المعرفية والمنهجية والنظر إليها بوصفها تنتمي إلى مجال الدعوة أحيانا أو الثيولوجيا أحيانا أخرى. والمتتبع المدقق يلحظ التوجه المعرفي في فصل نظرية الحتمية القيمية عن أدبيات الإعلام الإسلامي وأدبيات إسلامية المعرفة فصلا منهجيا يصل أحيانا إلى القطيعة المعرفية بحثا عن تأسيس قواعد قيمية علمية أكاديمية. ويحتاج جزء "الفصل عن" بعض التأهيل حيث القصد ليس استثناء الآخر ولكن إضفاء بُعد معرفي عقلاني ومنهجي في سياق تاريخي واجتماعي لم يكن حاضرا في تلك الأدبيات التي تعلقت بالنص ودونه (دون غيره)، أضف إلى ذلك أن التنوع في التنظير أمر يدل على الرقي وليس "الإنحدار" فالحقائق إنما تتجلى عندما تتفاعل أو تتدافع مع ما يعيقها أو يخدشها أو يحركها في هذا الاتجاه أو ذلك. ولا توجد حدة في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام إذ تتعايش إيجابا مع النظريات السائدة في الغرب وتستفيد مثلما تفيد، وبمعنى آخر فإنها لا تقوم على ثنائية "نحن والآخر" ولكن "نحن والآخر معا" ومن ثم فهي تتخذ طابع العالمية وليست خاصة بجغرافية ثقافية معينة وإن كانت تستمد قوتها من تلك الجغرافيا على اعتبار أن العالمي من أصل محلي".[١]

[١] تعليق البروفسور عبد الرحمن عزي حل حوار البروفسور علي قسايسية، متوفر على مدونة عن كثب على الربط:
https://badislounis.blogspot.com/2014/03/blog-post_25.html

٣.١- نشأة وتطور النظرية:

قدم المفكر الجزائري "عبد الرحمن عزي" حركة فكر جديد في ميدان علوم الإعلام والاتصال من خلال مجموعة من الدراسات العلمية والأبحاث الأكاديمية (أكثر من ٥٠ دراسة) التي مهدت لبروز نظرية جديدة في حقل الإعلام والاتصال وتجلت بوضوح في كتابه "**الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية، بعض الأبعاد الحضارية**" و الذي أصدره عام ١٩٨٥، بعد احتكاكه المباشر مع أتباع النظريات الغربية أثناء رحلته للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما جعله يدخل مجال التنظير في الاتصال استنادا لبعض الأدوات المنهجية الغربية، حيث كانت البدايات الأولى لطرح النظرية فكرة معارضة لما جاء في نظرية الحتمية التكنولوجية "**لمارشال ماكلوهان**" في دراسة مقارنة بين النظريتين[١]

ولقد مرت نشأة وتطور النظرية بمجموعة من المراحل التي تفسر التسلسل الكرونولوجي لتطور النظرية، حيث تأسست هذه الأخيرة، من خلال إسهامات صاحبها، في دراسة الظاهرة الإعلامية والاتصالية وفق المنظور الحضاري والقيمي للمجتمع الذي ننتمي إليه – المجتمع العربي الإسلامي-.[٢]

وظهرت المعالم الأولى لتأسيس النظرية كمرحلة أولى: في بداية ثمانينيات القرن الماضي في كتابات **د. عبد الرحمن عزي**، وبرزت بعض معالمها في المحاضرة التي ألقاها في الملتقى العالمي الثالث والعشرين للفكر الإسلامي، تبسة، الجزائر، سنة ١٩٨٩، بعنوان "**الإعلام الإسلامي: تعثر الرسالة في عصر الوسيلة**"، ثم نشرت في مجلة حوليات جامعة الجزائر، ثم اخذ الكاتب توجها فكريا وسعى إلى طرح تلك النظرية بشكل متكامل في دراسته "**الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية**" و التي قدمها في

[١]- محاضرات حول نظرية الحتمية القيمية : https://elearn.univ-ouargla.dz

[٢] نصير بوعلي: نحن كعرب ومسلمين نكاد نكون خارج التغطية، حوار منشور في جريدة البصائر، العدد ٨٠٤، ٢٤ أفريل ٢٠١٦، ص ١٢.

محاضرة بمعهد علوم الإعلام والاتصال في جامعة الجزائر سنة ١٩٩٣، ونشرت لاحقا في مجلة المستقبل العربي و في كتاب : "**دراسات في نظرية الاتصال: نحو فكر اعلامي متميز**"

أما عن انتشار النظرية كمرحلة ثانية، فلم يكن بمسالة الصدفة، فالنظرية لا بد أن تعكس واقعا هو جزء من حياة المجتمع وثقافته وتاريخه و بالأخص قيمه حتى تتبت وتثمر، أضف إلى ذلك وجود من يتبنى ويحمل أسس تلك النظرية من أفراد و مؤسسات، وقد قام **د. نصير بوعلي**–أحد أهم المساهمين في النظرية– بهذا الدور في هذه المرحلة نظرا لإمكانياته المعرفية والتواصلية الواسعة والبيئة الأكاديمية النسبية في جامعة الأمير عبد القادر بمدينة قسنطينة –الجزائر– ، حيث أن برامج تلك الجامعة تتناغم مع تقديمات نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، كما ساهم أيضا **د. نصير بوعلي** بشكل أساس في ظهور جيل متميز من الباحثين الشباب الذين قدموا إسهامات نيرة في سياق النظرية، وتميزت هذه المرحلة بظهور كتاب **د. نصير بوعلي** " **الإعلام و القيم: قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي**" وكذلك الندوة الوطنية الأولى لنظرية الحتمية القيمة في الإعلام التي نظمتها جامعة الأمير عبد القادر لتتوالى بعد ذلك العديد من الدراسات والرسائل الجامعية انطلاقا من رؤى النظرية وعلى سبيل المثال وليس الحصر دراسة د.السعيد بومعيزة، أثر وسائل الاعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب: دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة ، رسالة دكتوراه ودراسة نور الدين لبجيري، الاشهار في يومية الخبر الجزائرية دراسة تحليلية من منظور قيمي، رسالة ماجستير .....

لتأتي مرحلة أخرى في تاريخ هذه النظرية تولدت فيها المفاهيم الجديدة للنظرية حيث بدأت هذه المرحلة مع دراسة الرواسب الثقافية بدءا بالزمن الإعلامي إلى دراسة البنية البيولوجية للقيمة والعقل والتفكير، و يعتبر كتاب "**الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية: قراءة معرفية في الرواسب الثقافية** " الصادر عن الدار المتوسطية للنشر سنة ٢٠٠٩، نموذجا لهذه المرحلة، ومن بين أهم المفاهيم التي ولدتها هذه

المرحلة: (الزمن الإعلامي، المكان الرمزي، التخويف بالإعلام، الرأسمالي الرمزي، عنف اللسان، البنية القيمية اللغوية.....)

لتأتي مرحلة أخرى تخص الحفر في تراث الشخصيات الفكرية البارزة التي تمثل جزءا من مرجعية النظرية أمثال " **مالك بن نبي**" و"**الورثيلاني**" و" **النورسي**" و" **صن تسو**" الصيني، وقد ظهرت بعض هذه الدراسات في عدد من المجلات المتخصصة مثل الدراسات الاستراتيجية، الحكمة، المعيار على ان تصدر مع نصوص في مؤلف آخر "حفريات في الفكر الاعلامي القيمي " لنصل لمرحلة تسمية النظرية التي تعود بالأساس إلى إسهامات د.نصير بوعلي في مؤلفه " الإعلام والقيم" ولقد سبق وتطرقنا بالتفصيل في العنصر إلى تعريف كل مفهوم خاص بالنظرية على حدا [1]،

وانطلاقا مما سبق ذكره، يعتبر ذلك طرحا تسلسليا لتطور النظرية، التي لاقت رواجا بين الباحثين والدارسين في الجزائر والوطن العربي، الذين ساهموا بأبحاثهم ودراساتهم المعمقة بمنظور الحتمية القيمية، في سلسلة المؤتمرات العلمية الدولية التي جرى و يجري تنظيمها سنويا من قبل مخبر الدراسات الاتصالية وكلية العلوم الاجتماعية بجامعة مستغانم –الجزائر– هذه الأخيرة التي قدمت طبعات المؤتمر منذ بداية سنة ٢٠١٢ كتقليد وفرصة تتيح للباحثين تبادل الخبرات وتقديم الأبحاث النظرية والتطبيقية التي تثري هذا المجال وذلك بحضور صاحب النظرية كمصدر أساسي، والذي كان في كل مرة يعلن عن كل ما هو جديد متعلق بفكر النظرية من حيث المفاهيم والمنهجية المعتمدة والخاصة بالنظرية وكذا النظريات الجزئية التي تدخل ضمن النظرية الأم كإطار عام .

٤.١– افتراضات وركائز النظرية:

– **تقوم نظرية الحتمية القيمية على فرضين أساسين هما : الافتراض الأول:** أهمية الرسالة التي تتضمن القيم– القيم مصدرها الدين– في إحداث التأثير الذي يكون إيجابيا

[1] - انظر: عبد الرحمن عزي، **دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام** ، الدار المتوسطية للنشر، ط١، تونس، ٢٠١١.

إذا كانت المحتويات وثيقة الصلة بالقيم، ويكون سالبا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأي قيمة أو تتناقض مع القيمة.[١]

انطلاقا من هذا الفرض فإن تقييم محتويات ومضامين المادة الإعلامية المترجمة في الرسالة الإعلامية مرتبط بصلة وثيقة بقيمة المضمون في حد ذاته، والقيم حسب النظرية تتبع أساسا من المعتقد والدين، فكلما كانت المضامين والرسائل الإعلامية مرتبطة بالقيمة يكون تأثيرها ايجابيا، وكلما كانت المضامين والرسائل الإعلامية لا تتقيد بالقيم أو بعيدة عنها وتتناقض معها يكون بالضرورة تأثيرها سلبيا.

الافتراض الثاني: اعتماد أداة السالب والموجب، بالإضافة إلى مفهوم المخيال الإعلامي في مقابل الرأي العام، والزمن الإعلامي، والرأسمال الإعلامي، والوضع والخيال والتمعقل وفعل السمع والبصر، والبنية القيمية كأنساق ومصطلحات جزئية للنسق الكلي وهو النظرية.[٢]

- **الركائز التي تقوم عليها النظرية:**

- أن يكون الاتصال منبثقا من الأبعاد الحضارية التي ينتمي إليها المجتمع، فالاتصال المرئي يكون هادفا نافعا إذا ما تم في إطار أو تصور أو فكر أو انتماء، بمعنى آخر الأرضية التي تشكل المنطلق المعرفي المتماسك.
- أن يكون هذا النمط من الاتصال تكامليا، فيتضمن الاتصال السمعي بصري، الاتصال المكتوب، الاتصال الشفوي الشخصي.[٣]

---

[١] نصير بوعلي وآخرون: **قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام**، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة-الجزائر، ط١، ٢٠٠٩، ص ٦٢.

[٢] باديس لونيس: **نظرية الحتمية القيمية في الإعلام –نحو براديغم إعلامي متميز**، مجلة الدراسات الإعلامية المعاصرة، ع٤٠، دار الوسم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٩٧.

[٣] عبد الرحمن عزي: **دراسات في نظريات الاتصال نحو فكر إعلامي متميز**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٤٣.

- أن يكون الاتصال قائما على مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل، لا أحاديا متسلطا.
- أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية، والتي تدفع الإنسان والمجتمع إلى السمو والارتقاء.[1]

٥.١- المرجعيات والأسس الفكرية التي تستند إليها النظرية:

القارئ لمؤلفات المفكر عبد الرحمن عزي يلاحظ مدى تأثر الباحث بالمفكرين العرب، فهناك في أبحاث عبد الرحمن عزي صلة فكر بينه وبين مالك بن نبي من جهة وبينه وبين محمد عابد الجابري من جهة أخرى.

اشتغل عبد الرحمن عزي في التسعينات بالبحث في الظاهرة الإعلامية في السياق العربي استنادا إلى الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين، فكتب عدة دراسات عن التحليل النقدي والبنية المؤسستية في المجتمع العربي، والتفاعلات الرمزية وحقيقة الحياة الاجتماعية الرمزية في المنطقة العربية، والظاهراتية وفضاء الحياة العربية والبنيوية وما بعد البنيوية والمعالم الثقافية العربية، وبعض التأملات في المنظار الخلدوني.[2]

انغمس عبد الرحمن عزي في العشر سنوات الأخيرة في مناظير(جمع منظور) الشخصيات القيمية بهدف النبش والبحث في التراث من زاوية قيمية، وكتابه الصادر عن الدار المتوسطية بتونس الموسوم ب "**حفريات في الفكر الإعلامي القيمي**" يبين العلاقة الترابطية الجديدة والتجديدية بين مالك بن نبي والإعلام، النورسي والأخلاق، الحسين الورثلاني والرحلة القيمية، وصن تسو والصورة الذهنية الإيجابية، وهؤلاء من المؤسسين للحركة النهضوية المعاصرة، وهذا التوجه الجديد في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام

[1] ساعد هماش: **التنظير العربي الاسلامي بين الأصالة والأسلمة –نظرية الحتمية القيمية للأستاذ عبد الرحمن عزي أنموذجا**، مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة، ع٣، دار الوسم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ٢٨.

[2] نصير بوعلي: مرجع سابق، ص ١٢.

يمكن تفسيره بأنه استخلاص للقيمة من المجسد وليس من المجرد، أي من التجربة الواقعية المثلى لهذه الشخصيات.[١]

ويصرح المفكر عبد الرحمن عزي دائما في مداخلاته عن المرجعية الأساسية في نظريته التي تكمن في النص القرآني والسيرة النبوية الشريفة، ويقول في هذا السياق أن "القيمة يمكن إدراكها أو استنباطها من النص القرآني والسيرة النبوية"، وقد رجع في ذلك إلى كتابات أبو حامد الغزالي، ابن قيم الجوزية، بديع الزمان النورسي...

ومما سبق ذكره من المرجعيات والأسس التي بنى عليها البروفسور عبد الرحمن عزي نظريته، نجد أنه لم يكن مبتورا عن أصوله العربية الإسلامية، ولا غير مطلع على النظريات الغربية، وبالأخص الأمريكية.

ثانيا: القيم كمدخل منهجي لتأطير ودراسة الظاهرة الإعلامية :

قام "**الباحث لبجيري**" نور الدين بدراسة حول القيم كمنهج لدراسة الظاهرة الإعلامية[٢]، حيث قام بتقسيم القيم إلى: قيم أصيلة وقيم فعالة، حيث أن خصائص هذه القيم مردها إلى: تحديد مصدر القيم من جهة وإلى أنواع القيم وكذا علاقتها بمنظومة السنن، وعلى هذا الأساس فإن قيم الأصالة تتميز بالثبات والتكامل، فهي ثابتة في نفسها متكاملة مع سنن الله (لأن مصدرها الوحي)، أما قيم الفعالية فإنها تتميز بالحركة والتجدد في إطار المقصد والغاية، ذلك بارتباطها بسلوك الإنسان وبإرادته، فهي بذلك قيم متجددة لأن الإنسان يسعى دائما لاكتشاف الجديد من السنن المودعة في الكون، وهذا السعي متواصل مادام علم الإنسان محدود، وبالتالي فإن قدرات الفعالية في تجدد دائم ومستمر.

وأما عن أهمية القيم كمدخل منهجي لتأطير ودراسة الظاهرة الإعلامية، فقد طرحت نظرية الحتمية القيمية موضوع القيم السالبة والموجبة، وبالرجوع إلى تقسيم القيم الذي

---

[١] المرجع نفسه، ص ١٣.

[٢] نور الدين لبجيري: مدخل إلى الحتمية القيمية: القيم كمنهج لدراسة وتأطير الظاهرة الإعلامية، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة–الجزائر، ٢٠٠٩، ص ١١٥.

اعتمد عليه الباحث الجزائري لبجيري، فإن قيم الأصالة لا يشملها هذا التقسيم، كونها قيم ذات مصدر روحي –كما ذكرنا سابقا– وإنما هذا التقسيم خاص بالقيم الفعالية.[1]

وهنا لابد من الإشارة إلى العلاقة بين القيم والثقافة، حيث أشار المفكر عبد الرحمن عزي إلى أن الثقافة **سُلَّم** يمثل مستواه الأعلى القيم، والقيمة ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين، فالإنسان لا يكون مصدر القيم وإنما أداة يمكن أن تتجسد فيها القيم، يستتبع ذلك أنه كلما ارتقت الثقافة إلى مستوى القيم ارتبطت بالدين بالضرورة.[2]

في هذا السياق يعرف الأستاذ عبد الرحمن عزي الثقافة بـ "**كل ما يحمله المجتمع وما ينتجه من قيم ورموز معنوية أو مادية، وذلك في تفاعله مع الزمان والمكان انطلاقا من بعض الأسس التي تشكل ثوابت الأمة وأصولها**"[3]. إذن فالعلاقة بين القيم والثقافة هي علاقة تأطيرية توجيهية، وهذا ما ينبغي أن يكون.

أما عن تقسيم القيم إلى قيم الأصالة وقيم فعالية فقد ساعد في معرفة أن:

- القيم ذات مستويين مستوى يجعلها جزء من الثقافة، إذا نظرنا إليها من زاوية مجال دراسة الواقع (كيف ندرس الواقع؟) ومستوى ثاني نشير إليه بالتضميني وهو أن القيم تتغلغل في كل جزء من أجزاء الثقافة.
- تأكيد حتمية ربط الظاهرة الإعلامية بالقيم الإسلامية في الدراسات والأبحاث الخاصة بالوطن الإسلامي، ذلك أن القيم الحقة هي تلك المستنبطة من الوحي، ومن هنا استمد الأستاذ عبد الرحمن عزي الحتمية، أي أنه لابد من التحلي بالقيم في الإعلام، ومن هنا جاءت صيغة الوجوب في الحتمية القيمية، أي أنه

[1] المرجع نفسه، ص ١١٦.

[2] عبد الرحمن عزي: دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر إعلامي متميز، سلسلة كتب المستقبل العربي، رقم ٢٨، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٠٦.

[3] المرجع نفسه، ص ١٠٧.

كلما ابتعد الإعلام عن القيم كلما كان معرضا للعولمة وللذوبان في ثقافة الآخر، فالقيم هي ما يجعله سدا منيعا أمام موجات الغزو الثقافي.

أما فيما يخص القيم ومجال الظاهرة الإعلامية فقد أرجع الباحث لبجيري أن تحديد الظاهرة الإعلامية يرجع بالدرجة الأولى إلى فهم خصائص القيم من جهة وإلى ضبط أنواعها من جهة أخرى، وعليه فإن مجال الظاهرة الإعلامية لا يقتصر على الواقع فقط بل يتعداه إلى ما ينبغي أن يكون.

كما ظهرت قضية وهي عزل العلم والمعرفة عن القيم، في الفكر الغربي، وهو ما جاءت به المذاهب الوضعية، حيث ارتبط قيام الاتجاه الوضعي بالدعوة إلى تحقيق الموضوعية العلمية في مجال الإنسانيات تماما كما تم تحقيقها في مجال الطبيعيات، واعتبرت الوضعية أن ارتباط العلم بالأخلاق والقيم من مخلفات القرون الوسطى،[١] وجاءت نظرية الحتمية القيمية لتؤكد ضرورة تلاوم الموضوعية والمعيارية في الميثودولوجية الإسلامية، ذلك أن المعيارية في المفهوم الإسلامي مرتبطة بالوحي أي أنها موضوعية، ذلك أن مصدرها خارج تخمينات العقل واجتهاداته.

لذلك فالدراسات الإعلامية كلما ارتبطت بتوجيه وتأطير القيم الحقة كلما كانت موضوعية وعادلة، وأمكنها بذلك أن تتحقق من صدق نتائجها عن طريق معلم القيم كمعلم ثابت

ثالثا: نظرية الواجب الأخلاقي في الممارسة الإعلامية:

لقد أصبحت نظرية الحتمية القيمية تراكما معرفيا في مجال علوم الإعلام والاتصال، هذا ما يسمح بالإنتقال من سؤال ماذا (أي الأسس النظرية) إلى سؤال كيف؟

[١] نور الدين لبجيري: مرجع سابق، ص ١٢٠.

(أي تطبيقاتها في الإعلام والوسائط الإعلامية الجديدة)[1]، حيث تعددت وتنوعت الأبحاث المقدمة، وتناولت مسائل الاستخدام القيمي وغير القيمي لوسائل الإعلام التقليدية وكذا الحديثة كمواقع التواصل الاجتماعي، الصورة الصحفية، مواقع الفيديو، الضوابط الأخلاقية في الوسائط الجديدة، صناعة المخيال الإعلامي، التغير القيمي في الزمن الرقمي، الاغتراب القيمي، الاتصال السياسي والمقاربة الأخلاقية، العنف الرمزي في الوسائل الجديدة، وسؤال القيم في الإعلام الجديد.*

ولعل من تطبيقات نظرية الحتمية القيمية في الإعلام هي "**نظرية الواجب الأخلاقي في الممارسة الإعلامية**"، حيث تعتبر هذه الأخيرة نظرية جزئية ضمن النظرية الأم، والتي انبثقت من دراسة التراث القيمي والفلسفات الأخلاقية الغربية وواقع الممارسة الإعلامية محليا وإقليميا وعالميا، وهي بذلك تتخذ طابعا إنسانيا يمتد في الزمان والمكان وتعتبر هذه الأخيرة آخر ما صرح به صاحب النظرية في محاضرة ألقها في المؤتمر الدولي الثالث للحتمية القيمية "**الإعلام القيمي: بين التنظير والطرح الإمبريقي**" الذي انعقد سنة ٢٠١٥ بجامعة مستغانم، حيث أعرب عبد الرحمان عزي في محاضرته عن النظريات الجزئية التي تشتغل في لواء نظرية الحتمية القيمية كنسق كلي، لفتح مجالات أخرى في النظرية خاصة مع التطورات التكنولوجية الحاصلة في وسائل الإعلام والاتصال، وطبيعة التواصل في حد ذاته، حيث عبر بأننا نشهد تحولا من نظريات الإعلام إلى نظريات الاتصال، ويقصد في هذه النقطة –التواصل الشخصي– وحقيقته مع تطور الإعلام الجديد اليوم، أين أصبح التواصل الشخصي يحتل مساحة كبيرة و أكثر من التواصل مع الإعلام بمفهومه التقليدي، حيث أن الاتصال الشخصي هو النواة الصغيرة التي يتم من خلالها التعلق بالقيمة والانتقال من المجتمع الصغير – ت واصل

[1] عبد الرحمن عزي: **نظرية الحتمية القيمية ستصبح من النظريات المعيارية الأساسية**، مدونة عن كثب، ٢٠ديسمبر ٢٠١٦، الحوار متوفر على الرابط: https://badislounis.blogspot.com/2016/12/blog-post_20.html

* سنورد في نهاية الدراسة مجموعة من الدراسات والأبحاث التي استندت على الحتمية القيمية في الإعلام كمرجعية نظرية.

مع الآخر – إلى المجتمع الكبير الذي يرتبط بالنظام الأخلاقي، ويترجم ذلك في ما سماه بنظرية " **التواصل الشخصي الأخلاقي**" أين استند في إثرائها على بعض معالم النصوص القرآنية والقراءات المعرفية للنماذج الحية والاستدلال من العلوم المحيطة كعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي...

– إن نظرية "**الواجب الأخلاقي**" تقودنا للحديث عن علاقة تواصل الفرد بالآخر عن طريقة الإجابة على تساؤل مفاده هل هذا الاتصال أخلاقي؟ ؟ فهناك أنواع من الاتصال والتواصل السلبية، كسيطرة العنف على العملية التواصلية على مستوى الكلام، وما نلاحظه من زيادة مستوى العنف ونوعيته مع تطور تكنولوجيا الاتصال التي لم تساهم في الحد منه، أو احتوائه وهذا ما تعبر عنه نظرية " **الاتصال الشخصي السلبي**" في مفهوم عكسي "**للاتصال الشخصي الأخلاقي**" الذي عرفه "**عبد الرحمن عزي**" على انه:" فعل يهدف إلى تأسيس علاقة مع الآخر حاملا معه ذاكرة شخصية جماعية ويكون الأصل في هذه العلاقة أخلاقيا وكان غالبا ما تكون البداية وسائلية" ويقصد بالوسائلية في هذا المقام، أن الإنسان ينظر إلى الآخر على انه وسيلة وهذه العلاقة تقوم على مبدأين أساسين هما:

– **المبدأ الأول في الاتصال الشخصي الأخلاقي:** " **منع الضرر**" ومعناه ألا نضر بالآخر و يأتي على رأس أولويات القيم منع الضرر على الآخرين و لهذا نجد في الفلسفات والأديان عبارة " **لا تفعلوا كذا**" فلو منعنا الضرر عن بعضنا البعض يكون هذا مستوى متطور من القيمة فأحيانا تعريف القيمة يأتي فيما سيأتي بالمقابل كان " لا تفعل هذا "

– **المبدأ الثاني** "**تقديم العون**" وهذا من خلال مد يد العون و مساعدة الآخرين.

بالإضافة لهذين المبدأين تطرح النظرية النموذج المعمول لنظرية الاتصال الشخصي الأخلاقي وفيه:

المستوى الأول ضرورة وجود المسافة واستقلالية كل طرف عن الثاني وهذه نقطة مهمة للغاية حيث انه يتأسس بوصفه وعي ذاتي خاص بالشخص مبني على جهد مستقل من طرف الشخص نفسه القائم بالإقناع، فهذه المسافة تكون ضرورية ولهذا فمن بين العوائق التي تعيق عملية الارتباط بالقيمة هو عدم وجود هذا البعد الذاتي المستقل، ونحن في نظرتنا للقيم نرى وكأنها ظاهرة جماعية يعني من زاوية" هذا ما وجدنا عليه آباءنا " وهذا المستوى الضيق من الرؤية يحيلنا إلى تغييب العقل واستبعاده، وفي هذا المستوى عندما يدخل الشخص في علاقة مع شخص أخر يمكن أن يجدا نقاط مشتركة مع بعض ، هذا الاشتراك من شأنه أن يعمل ألفة تكون لمجتمع صغير ولكن هذه الألفة فيها نوع من العلاقة وكذا الاستقلالية في نفس الوقت ما يترتب عليه من مسؤولية مشتركة بين الطرفين، وهنا نلاحظ كيف يبدأ تكوين المجتمع انطلاقا من ما هو شخصي وما هو موجود عند الأخر من عملية مشتركة مع الحفاظ على الاستقلالية الموجودة. ولكن قد يحدث أن تسير العلاقة في اتجاه الاندماج وإهمال الاستقلالية مع ادعاء الاندماج بالأخر يؤسس لـ: "**التالف الوهمي**" وهنا يضيع الشخص نفسه وإذا ضاعت نفسه لم يستطع أن يسهم في علاقته مع الطرف الأخر وهذه مرحلة حرجة...

أعرب عبد الرحمن عزي انه استند للعديد من النقاط المعرفية لشرح النظرية، والتي كان أولها النص القرآني المليء بأمثلة الاتصال الشخصي الأخلاقي سواء بين الشخص والأخر أو بين الأب والابن وكذا بين الرسول وربه وكذا أصوات وحوارات ليست بالضرورة أن تكون لها علاقة بالإنسان كالنملة مع سيدنا سليمان...

ونكتفي بقصة سيدنا موسى عليه السلام التي نستخلص منها ما يحدث عندما يكون هنالك نوع من التجاوز الأخلاقي وهي رواية موجودة في نصوص المفسرين الذين يأتون بروايات ليست مؤكدة إلا إنها توفي بالغرض ولهذا أجيزت .. ويروى أن سيدنا موسى كان يلقي خطاب على جماعة وكانت الأخيرة تستمع بانتباه شديد فأثناء كلامه أحس سيدنا موسى بأهميته جراء الانتباه الشديد الذي حضي به من طرف الجمهور. وفي لحظة من اللحظات بدا عليه انه معجب بتلك الحالة" وهو بشر طبعا وركز على نفسه بشكل قوي وفي نهاية الحديث قال له احدهم:عندي سؤال.. من هو اعلم الناس .. فأجاب سيدنا موسى باعتبار منزلته كنبي وقال أنا اعلم الناس.. فعاتبه ربه.. فعاد إلى

ذاك الشخص الذي اخبر المفسرون أن اسمه"**الخضر**" والذي كان صاحب علم فبمجرد ما رأى سيدنا موسى عليه السلام لاحظ عليه التسرع وبدل أن يقول له أنت متسرع وطبعا في حال قال له أنت متسرع فهناك نوع من الحكم والتقييم وحتى العنف اللفظي ...

وكذلك في قصة السفينة والجدار والفتى نفهم من القصة أنه لابد أن لا نكتفي بظواهر الأشياء وهنا دعوة إلى التفكير فيما وراء المجسد وهو ما يسمى في العلم الحديث بـ "**علم الدلالة**"

أما عندما وصل الجدار وقال كيف نبني الجدار؟ و أهل القرية رفضوا إطعامه وهنا نلمس نوعا من الضرر جاء كرد فعل للضرر الأول وهنا حدث الفراق والذي نرجع سببه إلى مشكل أخلاقي.. فرد الضرر بالضرر ليس رد فعل أخلاقي.

أما في علم النفس يمكن الحديث عن" **كوهلبرغ**" الذي تحدث عن تطور الوعي الأخلاقي عند الطفل "حيث يصبح الطفل وفقا للتدرج السني متجاوبا على أساس الجزاء والعقاب فما يحصل عليه جزاء هو أخلاقي وما لا يحصل عليه عقابا يعتبر غير أخلاقي ثم يتطور إلى مستوى العرف الذي هو الضمير الجمعي الذي يتبناه وفقا للعادات والتقاليد ويشير "**كوهلبرغ**" إلى الناس يبقون في ظل هذا المستوى يعني يعمل ضمن ما توفره له ثقافته والمجتمع الذي ينتمي إليه وهو ما يسمى"**مرحلة القانون**"، والقليل فقط يذهب إلى المرحلة التي تأتي بعدها وهي مرحلة طرح الأسئلة الأخلاقية حول علاقته بالمجتمع الذي ينتمي إليه.

وبالعودة إلى العلماء الذين اهتموا بالجانب الأخلاقي فهم قلة وثمانون بالمائة منهم من جامعة"**هارفارد**" الأمريكية أو جامعة "**امايت**" وهذا ما يسوقنا للقول أن هناك مقدمة معرفية ضرورية لابد أن تسبق طرح المسائل الأخلاقية.

وهناك "**بولندنر**" والذي قال انه في المستقبل نحتاج خمس عقول احدهم العقل الأخلاقي نظرا للتطور التكنولوجي وتداخل المجتمعات وكذا الضجيج الرمزي. هذا ما يخص الجانب النفسي .

كما أن هناك خمس نظريات وظيفية منها نظرية الإدارة المنسقة للمعنى لـ "**بيبرس**" والذي يقول أن الشخص عندما يلتقي بشخص أخر يبحث عن التناغم بوصفة وسيلة بناء لترقية أداء الجماعة على حساب عوامل أخرى.

ولكن هناك فرق بين القصة المحكية والقصة المعايشة فالإنسان قد يحكي شيئا لكن هو ليس في الواقع الشيء الذي يعايشه فيحدث هناك نوع من القلق والتشويق الانتظار وهو ما يجعل عملية التواصل عملية دينامية متحركة.

وحقيقة فان الوظيفية ليس لها بعد أخلاقي فهي تنطلق من الظاهرة ثم تنظر إلى الوظائف التي تؤديها فان كانت هذه الوظائف موجودة نقول أنها أدت مهامها الوظيفية وكذلك الخداع يعتبر وظيفة كمثال تسال احدهم لماذا تخادع؟فيقول خادعت لأجل مصلحة ذاك الشخص أي لها تبرير من الناحية الوظيفية.

وهنالك نظريات نقدية نكتفي بذكر واحدة فقط والمتمثلة في " **لازلي باكستر**" والتي تتحدث عن الجدلية العلائقية والتي ترى ان الاتصال الشخصي هو اتصال اختلاف قائم على المنافسة والاعتراض والحوار هو لحظة جمالية ظرفية فتأسيس العلاقة مع الأخر هو تجربة متوترة بطبيعتها وينبغي مقاومة الخطاب الأحادي الذي يسعى إلى الحدة مع الأخر فتفاعل الاختلاف هو أمر ايجابي.

كما أن هناك عدة كتب تحدثت عن السعادة هذه القضية التي تشغل العديد من الباحثين في أيامنا هذه والقول أن السعادة تأتي من خلال علاقة الإنسان بالأخر.

وما ينطبق كثيرا خاصة على المجتمع الجزائري فيما يخص علم الكلام حيث أن هناك خلل في التدريب على الاحتياجات حيث يقوم به الأغلبية يتم بطريقة غير واعية .. حيث يتنقل طلب الحاجة مباشرة نحو التقييم وثم العنف.

وهنا نطرح التساؤلات التالية.. :

- هل أن فعل كلام احد الطرفين لا يتضمن عنفا لغويا؟

- هل أن ما يصرح به احد الطرفين صحيح وقائم على حقائق بدلا من الإشاعة والقيل والقال؟

- هل أن ما يقوم به احد الطرفين لا يشوه الحقائق من دعاية وتظليل؟
- هل أن ما يقوم به أحد الطرفين يحدث ضرر بالآخر ؟

وبالنسبة لقضية الضرر فان الإنسان يجد صعوبة في التعبير عن احتياجاته فانه ان استعملنا النظرية النفسية فقد تعرض لضرر من قبل و الآن ينتقل إلى إحداث الضرر بالطرف الأخر فلو منعنا هذا الضرر يرجع الإنسان إلى طبيعته وبالتالي يحسن التعبير عن احتياجاته..

- ثم هل ما يقوم به احد الأطراف لا يضع الآخرين في موقف سلبي؟
- هل ان ما يقوم به احد الطرفين يكون مدفوعا بالمصلحة الشخصية؟ .

١. التعريف بالنظرية * :

تدخل نظرية الواجب الأخلاقي في الممارسة الإعلامية في إطار مبدأ "ما ينبغي أن يكون" انطلاقا من القيمة وكذلك إسهامات الفلسفات الأخلاقية العقلانية القائمة على المبادئ deontology، حيث سعت إلى نقل المسألة الأخلاقية الإعلامية في المنطقة العربية والإسلامية من المجال الدعوي (الفقهي) إلى المجال المعرفي الأكاديمي القائم على التحليل العقلاني بإبراز الخصوصية المرجعية الحضارية والتفاعل الإيجابي مع الآخر (الغرب).

ويعني "**الواجب**" في صورته الأولية "الوعي الفردي القائم على القناعة الذاتية، انطلاقا من منظومة قيمية ملازمة في التفاعل مع الواقع، وليس الواجب أمرا مفروضا وإلا انتفت صبغته الأخلاقية، إذ أنه يشير بدلا من ذلك إلى إحساس الفرد الداخلي بالدافع الأخلاقي الذي يجعله يتخذ القرارات الأخلاقية اليومية في الكتابة والتغطية الإعلامية مشدودا في ذلك إلى نظام من التفكير القيمي الثابت والمتجدد.

أما "**الأخلاق**" فعلم وإيمان يمكِّن القائم بالاتصال من معرفة الحق من الباطل أو الخير من الشر، أو الأخلاقي من غير الأخلاقي.

*- للإطلاع على النظرية أكثر انظر، عبد الرحمن عزي: **نظرية الواجب الأخلاقي في الممارسة الإعلامية**،الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٦.

وتجمع نظرية الواجب الأخلاقي بين البعدين العقلاني والروحي وتسعى إلى ربط الممارسة الإعلامية بالوعي الأخلاقي الفردي والمرجعية القيمية، وبشكل خاص تعني نظرية الواجب الأخلاقي في الإعلام:

- **أن المرجعية في أخلاق الإعلام حضارية:** مستمدة من المصادر التراثية ذات الأساس الديني بشكل عقلاني متجدد ذو الصبغة العالمية.
- **تتنوع نظرية الحتمية القيمية في الإعلام** عن غيرها في أنها تعتبر أن مصدر القيمة ديني في الأصل غير أن تناولها يكون بالتأويل العقلاني الواعي المتجدد، أي أن مرجعية التأويل المذكور سبيلا حتميا في الممارسة الإعلامية.
- **أن الواجب الأخلاقي** يعني أن يكون الدافع الأساس في فعل الإنسان ارتباط ذلك الفعل بالقيمة، أي أن ينطلق الإنسان من المبادئ في الحالات المختلفة، وبدون ذلك قد يدخل الفعل في الاعتباطية والعبثية، ويتطلب الأمر أن يكون الفرد كائنا أخلاقيا بالدرجة الأولى، أي يستحضر المبادئ في كل ممارساته، وإن غفل تذكر الله فعاد إلى إدراكه وتعلق بتلك المبادئ مرة أخرى.
- **أن الواجب الأخلاقي في أسمى مراتبه تجاه الخلق سبحانه وتعالى** ويعد هذا الواجب الأساس الذي تتفرع منه الواجبات الأخرى (الواجب تجاه المؤسسة والجمهور والمجتمع والوطن...الخ) ويعد هذا الواجب أمرا ذاتيا يبتغي فيه الفرد مرضاة الله سبحانه وتعالى، ويأتي من قناعة داخلية ولا يحتاج إلى رقابة أو توفر التشريعات.
- **أن الواجب الأخلاقي يتوزع بمستويات مختلفة** وفق موقع كل طرف من المسألة الأخلاقية.

خاتمة

حاولنا من خلال هذه الدراسة التعريف بالنظرية الحتمية القيمية في المشرق العربي، وكذا إثارة رغبة الباحثين المشارقة في البحث والتعقيب حول هذا الاتجاه النظري الجديد، وكذا فتح الباب لدراسة وتحليل أبحاث البروفسور عبد الرحمن عزي.

وهذا لا يدل على أن النظرية لم تحظ بالدراسة والتحليل من طرف الأساتذة الجزائريين، فقد أقيمت حول النظرية دراسات عديدة ومتعددة، تناولت مختلف جوانب النظرية، من نشأة وخلفية ابستمولوجية، بالإضافة إلى تحديد منهج دراسة الظاهرة الإعلامية، الأدوات والوسائل المعتمدة في دراسة الظاهرة الإعلامية، بما يتفق والمنظور القيمي.

قائمة المصادر والمراجع:

١- بوعلي نصير : **الإعلام والقيم: قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي**، دار الهدى للطباعة و النشر، دط ، الجزائر ،٢٠٠٥.

٢- بوعلي نصير وآخرون: **قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام**، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة-الجزائر، ط١، ٢٠٠٩.

٣- بوعلي نصير : **مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الاعلام عند عبد الرحمن عزي، مقاربة نقدية**، مجلة المستقبل العربي

٤- بوعلي نصير: **نحن كعرب ومسلمين نكاد نكون خارج التغطية**، حوار منشور في جريدة البصائر، العدد ٨٠٤، ٢٤ أفريل ٢٠١٦.

٥- لونيس باديس: **نظرية الحتمية القيمية في الإعلام -نحو براديغم إعلامي متميز**، مجلة الدراسات الإعلامية المعاصرة، ع٤، دار الوسم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٢

٦- لبجيري نور الدين: **مدخل إلى الحتمية القيمية: القيم كمنهج لدراسة وتأطير الظاهرة الإعلامية، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام**، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة-الجزائر، ٢٠٠٩،

٧- عزي عبد الرحمن : **دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام** ، الدار المتوسطية للنشر، ط١، تونس، ٢٠١١.

٨- عزي عبد الرحمن: **دراسات في نظريات الاتصال نحو فكر إعلامي متميز**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣.

٩- عزي عبد الرحمن: **نظرية الواجب الأخلاقي في الممارسة الإعلامية**،الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٦.

١٠- عزي عبد الرحمن: **نظرية الحتمية القيمية ستصبح من النظريات المعيارية الأساسية،** مدونة عن كثب، ٢٠ديسمبر ٢٠١٦، الحوار متوفر على الرابط: https://badislounis.blogspot.com/2016/12/blog-post_20.html

١١- عيساني سعاد: **القيمة بين الواقع والخيال، مستويات التداخل وطبيعة العلاقة في الحتمية القيمية،** مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة، الجزائر، دار الوسم للنشر والتوزيع، ع٤، ٢٠١٢.

١٢- هماش ساعد: **التنظير العربي الاسلامي بين الأصالة والأسلمة –نظرية الحتمية القيمية للأستاذ عبد الرحمن عزي أنموذجا،** مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة، ع٣، دار الوسم للنشر والتوزيع، الجزائر.

١٣- **محاضرات حول نظرية الحتمية القيمية:** متاح على الموقع *ouargla.dz* :https://elearn.univ-

١٤- **تعليق البروفسور عبد الرحمن عزي حل حوار البروفسور علي قسايسية،** متوفر على مدونة عن كثب على الربط:

https://badislounis.blogspot.com/2014/03/blog-post_25.html